(١٧)

مكفرات الذنوب[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

لا زال حديثنا موصولاً عن تزكية الأنفس ، وعن التوبة إلى الله ، وأركان التوبة إلى الله ، وشروط التوبة إلى الله ، وآثار التوبة إلى الله ، ومعوقات التوبة إلى الله .

التوبة أيها الإخوة فريضة ؛ فريضة فورية ، وهي واجبة على الناس ؛ كل الناس ، على المؤمنين ؛ كل المؤمنين ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١) .

لا بد للإنسان أن يقع في الذنوب :

تحدثنا في الخطبة الماضية عن الذنوب ، وآثار الذنوب في النفس وفي الحياة . واليوم نتحدث عن مكفرات الذنوب . الذنوب من خصائص الإنسان ، لا بد للإنسان أن يذنب ؛ فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان ملكاً مطهراً ، وإنما خلقه بشراً . والبشر جزء من خلقه من طين ، وجزء من نفخة الروح ، كما ذكر الله لنا في خلق آدم ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (ص: ٧١، ٧٢) .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ١٦ من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ ، الموافق : ٤ يونيو ٢٠٠٤م .

OBEIKAN.COM

فالإنسان تجتمع فيه هاتان الصفتان ، أو هذان العنصران : العنصر الأرضي الطيني ، والعنصر الرباني الروحي ، فكثيراً ما يغلب أحد العنصرين على الآخر ، ولكن لا بد لكل عنصر منهما أن يكون له أثره في سلوك الإنسان . هذا أمر لا بد منه . ولا عجب أن يذنب أبو **البشر** ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(طه: ١٢١)، وإذا كان أبو البشر قد أذنب ؛ فلا عجب أن يذنب أبناؤه ، فالولد على صنو أبيه ، ومن يشابه أباه فما ظلم ، ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣٤) ، الإنسان بطبيعته لا بد أن يقع في الذنوب والمعاصي .

لا بد لأسماء الله الحسنى أن تعمل عملها :

وهناك أمر آخر ؛ من شأن أسماء الله الحسنى أن تعمل عملها ، يعصي الناس ويذنبون ، ثم يستغفرون الله ، ويتوبون إليه ؛ فيعفو عنهم ، ويتوب عليهم ؛ فإن من أسماء الله تعالى : الغفار والعفو والتواب ، فإذا كان الإنسان متطهراً لا يذنب ، فعمن يعفو الله؟ وعلى من يتوب الله؟ ولمن يغفر الله؟ ولهذا جاء في الحديث الصحيح : « والذي نفسي بيده! لو لم تذنبوا فتستغفروا ؛ لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم »[1] .

لا بد لهذه الأسماء أن تعمل عملها ، ولا تكون عاطلة ، أن يغفر الغفار ويعفو العفو ، ويتوب التواب ، ولهذا كانت الذنوب طبيعية من الإنسان . غير الطبيعي أن يستمرئ الإنسان المعاصي ، وأن يفجر في غلوائه ، وأن يستمر في طريق الذنوب ، ولا يرجع إلى الله ، هذا هو الخطر .

الخطر هو : الاستمرار في الخروج عن صراط الله ، الخطر في عدم اليقظة ؛ التي تَرُدُ الإنسان إلى الله بعد شروده .

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩) وأحمد في المسند (٨٠٨٢) والترمذي في صفة الجنة (٢٥٢٦) عن أبي هريرة .

من أنواع مكفرات الذنوب :

ولهذا كان هناك أشياء جعلها الله مطهرات ، ومكفرات للذنوب[1] التي تقع من الإنسان .

أولا :التوبة :

أول هذه المطهرات : هو التوبة ؛ التي تحدثنا عنها في الجمع الماضية . والتوبة تغسل الإنسان من الذنب كما يغسل الماء الجسم من الوسخ ، إذا صحت بأركانها وشروطها ، فمن تاب ؛ تاب الله عليه ، و« التائب من الذنب كمن لا ذنب له »[2] . وقد ذكر الله تعالى عن المشركين ، والزناة ، والقتلة ، بأن من تاب منهم ، وآمن ، وعمل عملاً صالحا ؛ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الفرقان:٦٨-٧٠) . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة:٢٢٢) .

---

(١) تحدث العلماء قديما على مكفرات الذنوب ، ومنهم الإمام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى (ج١٠ ص٦٥٥ ، ٦٥٦) فذكر من المكفرات أربعة ، والإمام السيوطى في كتابه (شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ، ص١٥١) فذكر عشرة ، لكن الإمام ابن القيم جمع ذلك وزاد ، ورتب هذه الأنواع فأجاد ، وقسمها إلى أمور ، وعمل الحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة. وإن لم تف هذه الأربعة محص فى البرزخ بثلاثة أشياء : صلاة أهل الإيمان بالجنازة عليه واستغفارهم له وشفاعتهم فيه ، وتمحيصه بفتنة القبر ، وما يهدى إخوانه المسلمون إليه من هدايا الأعمال. فإن لم تف هذه بالتحميص محص بين يدي ربه فى الموقف بأربعة أشياء : أهوال القيامة ، وشدة الموقف ، وشفاعة الشفعاء ، وعفو الله عز وجل. فإن لم تف هذه الثلاثة بتمحيصه فلابد من دخول الكير. (مدارج السالكين ، ج١/ ١٤٣).

(٢) رواه ابن ماجه عن ابن مسعود ، وقد سبق تخريجه .

لا بد للتوبة من أثر :

التوبة لا بد أن يكون لها أثرها حسب سنن الله ، وحسب أحكام الله ، ولذلك سئلت المرأة الصالحة رابعة العدوية ؛ سألها سائل : هل إذا تبتُ تاب الله عليّ؟ قالت : يا جاهل بلى! إذا تاب الله عليك تبتَ ، أي أن توبة الله عليك أسبق من توبتك إليه ، معنى توبة الله عليك : أن يوفقك إلى التوبة ، أن يحركك إلى التوبة ، ما دام قد حركك ؛ لتتوب وتندم وترجع إليه ، فهذا دليل على أنه قد تاب عليك ، قالت له : أما قرأت قول الله تعالى ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة:١١٨) ﴿ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ توبته عليهم أسبق ، فأول المكفرات هي التوبة .

ثانيا : الاستغفار :

الاستغفار ثاني المكفرات ، كثيراً ما يجمع القرآن بين الاستغفار والتوبة ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ (هود:٣) .

وليس الاستغفار دائماً مقارناً للتوبة ، قد يكون الاستغفار مع التوبة ، وقد يكون الاستغفار مفردا ، كما تكون التوبة مفردة[1] ، قد يستغفر الإنسان ولا يتوب ، لا زال مستمراً في طريق المعصية ؛ ولكنه يسأل الله أن يغفر له ما وقع فيه ، هذا لا يضيع عبثاً . الاستغفار معناه أن تطلب المغفرة من الله ، علماء اللغة يقولون : السين والتاء دليل على الطلب ، أستغفر : أي أطلب المغفرة . أستفهم : أي أطلب الفهم . أستأذن : أي أطلب الإذن . فالاستغفار : طلب المغفرة من الله .

---

(١) قَسَّم ابن القيم ورود الاستغفار والتوبة في القرآن والسنة إلى : استغفار مفرد ، وتوبة مفردة ، واستغفار مقرون بالتوبة ، ثم فرّق بين ذلك فقال : فالاستغفار المفرد كالتوبة بل هو التوبة بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره ، فالاستغفار يتضمن التوبة والتوبة تتضمن الاستغفار وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق ، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار : طلب وقاية شر ما مضى ، والتوبة : الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله. (مدارج السالكين ، ج١/ ٣٠٧).

ولماذا لا يطلب الإنسان المغفرة من الله ؛ وهو الغفار الرحيم العفو التواب؟! وهو واسع المغفرة ، وهو خير الغافرين ، وقد قال لعباده في الحديث القدسي : «يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم»[1]، وقال : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(النساء:١١٠). وجاء في أوصاف المتقين : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٣-١٣٦) ، هذا في أوصاف المتقين .

المتقون ليسوا معصومين :

المتقون ليسوا أنبياء معصومين ، ولا ملائكة مطهرين ، يمكن أن يسقطوا في المعصية ، ولكن مزيتهم على غيرهم : أنهم سرعان ما يقفون على باب الله ، ويقرعون هذا الباب مستغفرين ، ذكروا الله ، ذكروا عظمة الله ، وجلال الله ، وحساب الله ؛ فرجعوا إلى أنفسهم ، ذكروا مغفرة الله ورحمته الذي قال : ﴿ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الزمر:٥٣) ، ذكروا هذا فاستغفروا الله . الذين إذا فعلوا فاحشة ، كبيرة من الكبائر ، أو ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي ؛ ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله؟ هل هناك أحد يغفر الذنوب غيره؟ الله وحده هو الذي يغفر الذنوب جميعاً ، استغفره يغفر لك .

---

(١) رواه مسلم عن أبي ذر ، وقد سبق تخريجه.

OBEIKAN.COM

الأنبياء استغفروا :

الأنبياء جميعاً استغفروا الله من ذنوبهم ، آدم وحواء حينما أكلا من الشجرة قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف:٢٣)

نوح حينما شفع في ابنه ورد عليه رداً حاسماً ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود:٤٦-٤٧) . وقال : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ (نوح:٢٨)

وإبراهيم دعا ربه أن يغفر له ولوالديه فقال : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم:٤١) .

وموسى عليه السلام قال :﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (القصص:١٦) . وقال :﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٥٥)، وقال ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأعراف:١٥١)

وداود عليه السلام لما حكم بما حكم وظن أنها فتنة من الله **(فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ)**(ص : ٢٤) .

وسليمان قال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (ص:٣٥) .

والربانيون استغفروا :

كل الأنبياء استغفروا ، وكل الصالحين والربانيين دعوا الله أن يغفر لهم . أولوا الألباب دعوا ربهم أدعية ، عدة دعوات ؛ كان منها : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ (آل عمران:١٩٣) يستشفعون إلى الله بإيمانهم ، يتوسلون إلى الله بالإيمان ؛ لا بفلان ولا بفلان ﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران:١٩٣) . والربانيون الذين قاتلوا مع الأنبياء استغفروا ربهم بعد أن قتل منهم من قتل : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٧).

أعظم المستغفرين هو محمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذي أمره الله أن يستغفر لنفسه : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ (محمد:١٩) ، أمره في القرآن المكي ، وفي القرآن المدني أن يستغفر لذنبه ، وهو الذي أخبره الله بعد غزوة الحديبية ؛ أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومع هذا ظل يستغفر الله ، وهو الذي لا يغفل عن ربه طرفة عين ، ويرقب ربه في غدواته وروحاته ، في حركاته وسكناته ، ومع هذا قال ابن عمر : كنا نعد له في المجلس الواحد : مئة مرة :« رب اغفر لي وتب عليّ ، إنك أنت التواب الغفور »[1] يعمل بقول الله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ (النصر:١-٣) . كان أكثر الناس استغفاراً لربه ، من قرأ صيغ الاستغفار ؛ التي جاءت عن محمد ﷺ يعجب ، يقول :« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي

---

(١) رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذي والنسائي ، وقد سبق تخريجه .

مـا قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، وأنت على كل شيء قدير »[1] .

وبعضنا لأنه يصلي ركعات ، أو يذهب إلى العمرة في رمضان ؛ يظن أنه أصبح من أولياء الله الصالحين وإذا قلت له : استغفر الله . يقول : مم أستغفر؟! كأنه لا ذنب له . ومحمد يقول هذا الكلام . ويقول : سيد الاستغفار ـ أعظم صيغة للاستغفار ـ أن تقول :« اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[2].

الإنسان عليه أن يديم الاستغفار ، قال بعض السلف القرآن علمكم الداء وعلمكم الدواء . الداء في الذنوب والدواء في الاستغفـار ، فاستغفـر الله كثيـراً ، لا تمل من الاستغفار أبداً .

أفضل الاستغفار ما كان بالقلب واللسان :

أفضل أنواع الاستغفار أن يوافق قلبك لسانك ، استغفر الله بلسانك وبقلبك ؛ معناها : أن تشعر بحرارة الذنب ، وخطورة الذنب عليك في دنياك وآخرتك ، وتبتهل إلى الله أن يغفر لك ما وقعت فيه من خطايا . حتى العلماء قالوا : لو قال : بلسانه وقلبه ليس بحاضر ؛ فإن هذا لن يضيع عند الله ، لأن الله ﴿ **لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ (النساء: ٤٠) . ولأن يعود لسانه الاستغفار ؛ أفضل من أن يتحدث بغيبة ، أو نميمة ، أو كذب ، أو سخرية بالناس ، فالاستغفار نافع دائماً .

---

(١) رواه البخاري عن أبي موسى ، وقد سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري عن شداد بن أوس ، وقد سبق تخريجه .

OBEIKAN.COM

أفضل أوقات الاستغفار وحالاته :

وينبغي عليك أيها الأخ أن تتخيّر الأوقات التي تستغفر فيها . إذا عفّرت جبهتك ساجداً لله ؛ فـ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد »[1].

وسل الله أن يغفر لك قبل السلام ؛ بعد أن تنتهي من التشهد ، استغفر الله بما علمه النبي ﷺ لأبي بكر أن يقول قبل السلام : « اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم »[2] .

واستغفر الله بعد السلام : قل : أستغفر الله . أستغفر الله . أستغفر الله[3].

واستغفر الله في السحر شأن المحسنين الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات:١٧-١٨) في الليل قوّام مصلون ، قراء للقرآن ؛ ومع هذا كأنهم كانوا مذنبين فيستغفرون ، لا يشعرون بأنهم أدوا لله كل حقه .

المؤمن دائماً يشعر بالتقصير في حق مولاه ، لأنك مهما قدمت من طاعات وحسنات ؛ فحق الله عليك أكبر وأعظم ، ولذلك يشعر المؤمن دائماً بأنه مقصر

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢) وأحمد في المسند (٩٤٦١) وأبو داود في الصلاة (٨٧٥) والنسائي في الكبرى كتاب الصلاة (٧٢٧) وفي المجتبى كتاب الافتتاح (١١٣٧) وابن حبان في صحيحه كتاب الصلاة (١٩٢٨) والحاكم في مستدركه كتاب الإمامة (٣٩٥/١) والبيهقي في الكبرى كتاب الحيض (١١٠/٢).

(٢) رواه البخاري في الأذان (٨٣٤) ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٥) وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٥) والترمذي في الدعوات (٣٥٣١) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب النعوت (٧٦٦٣) وفي «المجتبى» كتاب السهو (١٣٠٢) عن أبي بكر.

(٣) إشارة إلى حديث ثوبان : أنه ﷺ كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثا . ثم قال : «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام». رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٩١) وأبو داود في الصلاة (١٥١٣) والترمذي في الصلاة (٣٠٠) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب (١٢٦١) وفي «المجتبى» كتاب السهو (١٣٣٧) وابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٢٨).

فيستغفر الله ، إذا كان محمد عليه الصلاة والسلام يقول :« إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[1] ، يشعر بشيء يغشي قلبه ، وهذا يشعره بأنه مقصر في حق الله ، فيستغفر الله فما بالنا نحن .

الاستغفار أيها الإخوة من مطهرات الذنوب ، من مكفرات الذنوب . الإمام ابن القيم سمّاها أنهاراً ، الأنهار التي يغتسل فيها الإنسان من ذنوبه ، ليخرج طاهراً مطهراً . ولكني أسميها حمامات ، الأنهار في عصرنا أصبحت ملوثة ، فلم تعد مجالاً للتطهير ، يحذرون كثيراً من الاستحمام في الأنهار لما يصب فيها من نفايات ، وقاذورات ، وكيماويات . . . وغيرها ، هناك حمامات يدخلها الإنسان ليتطهر ، حمام التوبة ، حمام الاستغفار .

ثالثا : اجتناب كبائر الذنوب يكفر صغائرها :

هناك شيء آخر ذكره القرآن وهو اجتناب الكبائر ، اجتناب كبائر الذنوب يكفر صغائرها ، عجيب هذا والله ، اجتنب الكبائر الموبقات المهلكة ، الله سبحانه وتعالى يغفر لك الصغائر ، هذا نص القرآن الكريم يقول مخاطباً للمؤمنين : ﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ (النساء:٣١) ، نكفر عنكم سيئاتكم أي الصغائر ، اجتنبوا الكبائر ربنا يكفر عنكم .

إذا كنت تقدر على أن تزني ، ولكنك تركت الزنى ، واكتفيت بالنظر واللمس ، لوجه الله رجاء فيما عند الله ، وخوفاً من عقوبة الله ؛ فإن الله يغفر لك هذه المقدمات التي فعلتها ، وهذا أمر مهم جداً في سياسة النفس ، وفي سياسة الآخرين ؛ في نفسك أن تعتبر بعظيم فضل الله عليك ، وواسع كرمه ، وواسع رحمته ، حيث غفر لك ما دون الكبائر ، كما قال سيدنا أنس ﷺ : إن الله سبحانه وتعالى غفر لنا ما دون الكبائر فما لنا ولها؟ نستطيع أن نستغني عن

---

(١) رواه مسلم عن الأغر المزني ، وقد سبق تخريجه.

الكبائر ، الله لا يطلب منا أن نترك كل شيء ؛ لأنه يعلم أن هذا ليس في إمكاننا ، وأن ضعفنا البشري يوقعنا في اللمم .

معنى اللمم[1] :

يقول الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (الشورى:٣٧) ، يجتنبون الكبائر ، لم يقل يجتنبون الكبائر والصغائر ، ووصف الذين أحسنوا من عباده فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ (النجم:٣٢) .

اللمم : يفسر بأمرين : الأول : أن يلم الإنسان بالمعصية في طريقه ، ولا يعاوده ، يغلبه الشيطان مرة ؛ فيقع في الزنى ، أو في شيء من هذا ، ولا يعاود ، هذه سقطة سقطت في حياته ، هذا من اللمم .

والأمر الآخر : هو صغائر الذنوب كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ كان يناجي ربه ويقول :« إن تغفر اللهم تغفر جمّا ، وأي عبد لك لا ألمّا؟![2] » .

من الذي لم يصب اللمم من الذنوب؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ

---

(١) ذكر الحافظ في الفتح أن اللَّمَم (بفتح اللام والميم) هو : ما يلم به الشخص من شهوات النفس. وقيل هو : مقارفة الذنوب الصغار. فتح الباري لابن حجر (١١/ ٥٠٣).

(٢) الحديث رواه ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ (النجم:٣٢)

قال : قال النبي ﷺ :« إن تغفر اللهم تغفر جما ، وأي عبد لك لا ألما » رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٢٨٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق ، ورواه الحاكم في مستدركه كتاب الإيمان (١/١٢١) وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الشعب (٥/٣٩٢) وفي الكبرى كتاب الشهادات (١٠/١٨٥) وعزاه الهيثمي في مجمعه إلى البزار ، وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (٧/ ٢٤٩) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦١٨).

﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ (النجم:٣٢) ، الله أعلم بنا حينما أنشأنا من الأرض ، ومن طين الأرض . والطين لا يخلو من الكدر ، لم يخلقنا من النور كما خلق الملائكة ، إنما خلقنا من الطين ، ولذلك لا بد للإنسان أن ينزع إلى الأرض ، ويخلد إلى الطين ، ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ ، فلا عجب أن يغفر لنا ما دون الكبائر ، ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (النساء:٣١) ، هذا في معاملة الإنسان مع نفسه ، ومع ربه .

لا تشدد على الناس إذا ارتكبوا الصغائر وتركوا الكبائر :

وهذا أيضاً في معاملة الإنسان مع الآخرين ، ألاّ يشدد على الناس إذا ارتكبوا الصغائر وتركوا الكبائر ، بحسبنا أن يؤدي الإنسان الفرائض ، ويجتنب الكبائر ، لنعده في صفوف المؤمنين ، بعض الناس يحاسب الناس على صغائر الأمور ، بل على الشبهات من الأمور المختلف فيها ، ويقيم المعارك بينه وبين خلق الله على هذه الأمور . لا . ليس هذا هو المهم ، المهم هو الكبائر ، الكبائر : أن يترك الصلاة ، أن يمنع الزكاة ، أن يفطر في رمضان ، أن يشرب الخمر ، أن يرتكب الزنى ، أن ينهب أموال الناس ، أن يظلم عباد الله ، وخصوصاً الضعفاء منهم ، هذه هي الكبائر ، فإذا أدى الإنسان الفرائض ، واجتنب الكبائر ؛ فضمه إلى صفك ، واقترب منه .

سيدنا عمر جاء جماعة من أهل مصر يشكون عمرو بن العاص ، وكان معهم عبد الله بن عمرو نفسه ، قال : ما الذي جاء بك يا عبد الله؟ قال : هؤلاء القوم قالوا : نريد أن نشكو إلى أمير المؤمنين أشياء نراها ليست في كتاب الله . يعني : يريدون أن يشكوا أباه الوالي على مصر ـ عمرو بن العاص ـ قال : هل عَلِمَ بكم أحد؟ قال : لا . قال فاجمعهم لي . فجمعهم في بهو ـ ساحة ـ ثم

سألهم عمر ، أمسك بهم واحداً واحداً وسألهم : ماذا تأخذ على الأمير؟ قال : إنه لا يقيم كل كتاب الله . فسأله : هل قرأت كتاب الله؟ قال : نعم . قال : هل أحصيته في نفسك؟ يعني استقصيت العمل به في نفسك ، في نيتك ، في قلبك؟ قال : اللهم لا . قال : هل أحصيته في لسانك؟ تجنبت كل معاصي اللسان . قال : اللهم لا . في عينك؟ في سمعك؟ وظل بهم واحداً واحداً ، قال لهم : إذا كنتم لم تحصوا هذا في أنفسكم ؛ فلماذا تريدون من الرجل أن يكون كاملاً في كل شيء؟ عودوا من حيث جئتم ، لو سمع الناس بكم لنكلت بكم[1] .

أراد عمر أن يَسُدَّ هذا الباب . المبالغة واستقصاء الصغائر ؛ هذا من أبواب الفتنة ، وعمر كان سياسياً ، وكان مربياً ، فسدّ هذا الباب الذي فتح بعد ذلك في عهد عثمان ولم يُسَد ، وكان من وراءه فتنة عظيمة .

أيها الإخوة ؛ اجتناب الكبائر يكفر الصغائر .

رابعا : الحسنات والطاعات :

ثم هناك شيء آخر ، الحسنات ، من حمامات الذنوب ومطهراتها : الحسنات ، فعل الحسنات والطاعات ، كل حسنة تعملها تُذهب سيئة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ (هود:١١٤) ، وكما قال النبي ﷺ لأبي ذر : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها »[2] ، نور الحسنة يطارد ظلام المعصية ، فيذهبها ويمحوها ، والحسنات كثيرة ، ذكر النبي ﷺ أنواعاً من الحسنات ، منها :

---

(١) القصة ذكرها صاحب كنز العمال (٢/ ٤٤٧) ونسبها لابن جرير .

(٢) رواه أحمد عن أبي ذر ، وقد سبق تخريجه .

OBEIKAN.COM

١- **الوضوء** : الإنسان إذا أذنب ذنباً ـ كما روى سيدنا عثمان ـ ثم تطهر ، ويصلي ركعتين لله ، هذا الوضوء يكفر عنه ما مضى من سيئاته[١] .

٢- **الصلاة** : الصلوات الخمس شبهها النبي ﷺ بنهر يغتسل فيه الإنسان كل يوم خمس مرات ، قال :« هل يبقى على بدنه من درنه شيء؟ قالوا : لا . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »[٢] .

٣- **صلاة الجمعة** : إذا كان هناك حمام يومي للمسلم يتطهر فيه ، ويغتسل خمس مرات ، فهناك أيضاً حمام أسبوعي : صلاة الجمعة ، هذه أيضاً مكفرة من مكفرات الذنوب[٣] .

٤- **شهر رمضان** : هناك حمام سنوي : شهر رمضان وما فيه من صيام وقيام ، « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »[٤] .

---

(١) إشارة إلى حديث حمران مولى عثمان بن عفان ؛ أنه رأى عثمان دعا بوضوء ، فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ، ثم أدخل يمينه في الوضوء ، ثم تمضمض ، واستنشق ، واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثا ، ويديه إلى المرفقين ثلاثا ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل كل رجل ثلاثا ، ثم قال : رأيت النبي ﷺ يتوضأ نحو وضوئي هذا وقال :« من توضأ نحو وضوئي هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه » رواه البخاري في الوضوء (١٥٩) ومسلم في الطهارة (٢٢٦) وأبو داود في الطهارة (١٠٦).

والنسائي في « السنن الكبرى » كتاب الطهارة (١٠٣) وفي « المجتبى » كتاب الطهارة (٨٤).

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨) ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٧) وأحمد في المسند (٨٩٢٤) والترمذي في الأمثال (٢٨٦٨) والنسائي في الصلاة (٤٦٢) عن أبي هريرة .

(٣) إشارة إلى حديث :« الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفراتٌ ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ». رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣) وأحمد في المسند (٨٧١٥) والترمذي في الصلاة (٢١٤) عن أبي هريرة .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩٠١) ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٠) وأحمد في المسند (٩٢٨٨) وأبو داود في الصلاة (١٣٧٢) والترمذي في الصوم (٦٨٣) والنسائي في الصيام (٢٢٠٦) عن أبي هريرة .

ولكن هذه الحسنات تكفر الصغائر لا الكبائر ، جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ يقول :« الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ؛ مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر »[1]. الكبائر مهلكة احذر من الكبائر ، رمضان مغسلة من الذنوب ، الإنسان يخرج من رمضان إذا أحسن الصيام ، والقيام ، وقد تطهر من سيئات العام التي يقع الإنسان فيها يومياً ، سيئات العين ، وسيئات اللسان ، وسيئات الأذن . . . وهي كثيرة جداً ، إلا الكبائر فإنها تحتاج إلى توبة نصوح .

٥- **الصدقة من مطهرات الذنوب** : هناك الصدقة مطهرة من المطهرات ، خصوصاً إذا كانت في السر «والصدقة لتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار »[2].

٦- **صنائع المعروف** : وصنائع المعروف إلى خلق الله ؛ كلها تمحو السيئات . كل إحسان إلى خلق الله ، ذكر لنا النبي ﷺ أن امرأة بغياً تتكسب بالزنى غفر

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ، وقد سبق تخريجه قريبا.

(٢) جزء من حديث معاذ قال : قُلتُ : يا رَسولَ الله أخبرني بِعَمَلٍ يُدخِلُني الجَنَّةَ ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ ، قال : « لقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظيمٍ وإنَّهُ لَيَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عليه : تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بِهِ شيئاً ، وتُقيمُ الصَّلاةَ ، وتُؤتِي الزَّكاةَ ، وتَصومُ رَمضَانَ ، وتَحُجُّ البَيتَ». ثمَّ قالَ : « ألا أَدُلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّةٌ ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطيئَةَ كَما يُطفئُ الماءُ النارَ ، وصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيلِ ، ثمَّ تلا :

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ (السجدة:١٦) حتَّى بَلَغَ : ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧)، ثُمَّ قالَ : « ألا أُخبِرُكَ برَأْسِ الأمْرِ وعَمودِهِ وذِرْوَةِ سنامِهِ؟» قُلتُ : بَلَى يا رَسولَ الله ، قال : « رَأسُ الأمْرِ الإسلامُ ، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنامِهِ الجهادُ»، ثم قال :« ألا أُخبِرُكَ بمَلاكِ ذلك كُلِّه؟» ، قلتُ: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه ، قال : « كُفَّ عَلَيكَ هذا» ، قلتُ : يا نَبيَّ الله ، وإنَّا لمُؤاخَذُونَ بِما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ : « ثَكِلتْكَ أُمُّكَ ، وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجوهِهِمْ ، أو على مَنَاخِرِهِم إلاَّ حَصائِدُ أَلسِنَتِهِم». رواه أحمد في المسند (٢٢٠١٦) وقال مخرِّجوه : صحيح بطرقه وشواهده ، وهذا إسناد منقطع ، أبو وائل لم يسمع من معاذ ، وعاصم بن أبي النجود صدوق حسن الحديث ، وباقي رجاله رجال الشيخين ، ورواه ابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣) والترمذي في الإيمان (٢٦١٦) وقال : حسن صحيح .

الله لها لأنها سقت كلباً[1]؛ امرأة بغي ، يعني عاشت عمرها في هذه المهنة الدنيئة ، ولكنها رحمت كلباً يلهث من العطش ، فبذلت جهداً في سقيه ، فشكر الله لها فغفر لها .

على حين دخلت امرأة النار في هرة حبستها[2] .

٧- **العمرة** : الحسنات كثيرة جداً ، كل حسنة تقدمها ، العمرة ، يقول النبي ﷺ فيها :« العمرة إلى العمرة مكفرات لما بينهما[3] » .

٨- **الحج** : النبي ﷺ يقول :« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[4] .

٩- **بر الوالدين وصلة الأرحام** : بر الوالدين ، صلة الأرحام ، جاء رجل إلى النبي ﷺ يقول : « يا رسول الله أذنبت ذنباً فهل لي من توبة ؟ قال : ألك أم ؟ قال : لا . قال : ألك خالة؟ قال : نعم . قال : اذهب فبرها »[5] . بر الأمهات وبر الخالات وصلة الأرحام تخفف من ذنوب الإنسان .

---

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ :« أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر ، قد أدلع لسانه من العطش ، فنزعت له بموقها فغفر لها » متفق عليه : رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧) ، ومسلم في السلام (٢٢٤٥) وهذا لفظه ، وأحمد في المسند (١٠٥٨٣) وابن حبان في البر والإحسان (٣٨٦) .

(٢) متفق عليه عن ابن عمر ، وقد سبق تخريجه .

(٣) رواه البخاري في العمرة (١٧٧٣) ومسلم في الحج (١٣٤٩) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب المناسك (٣٥٩٥) وفي «المجتبى» كتاب مناسك الحج (٢٦٢٩) وابن ماجه في المناسك (٢٨٨٨). أبي هريرة .

(٤) رواه البخاري في الحج (١٥٢١) ومسلم في الحج (١٣٥٠) والترمذي في الحج (٨١١) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب المناسك (٣٥٩٣) والنسائي في «المجتبى» كتاب مناسك الحج (٢٦٢٧) وابن ماجه في المناسك (٢٨٨٩) عن أبي هريرة .

(٥) رواه البيهقي في الشعب (٦/ ١٨٧).

OBEIKAN.COM

خامسا : الصبر على المصائب :

بعد حمّامات الحسنات هناك حمام المصائب التي تنزل بالإنسان ، وهي ليست باختياره ولكن مع هذا إذا صبر عليها ، واحتسبها ، كانت كفارة لخطاياه . لما نزل قول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء:١٢٣) بكى سيدنا أبو بكر حينما سمع الآية ، وقال له النبي ﷺ : ما يبكيك يا أبا بكر ؟ قال : يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية ؟ ! : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (النساء:١٢٣) أكلما عملنا من سوء يا رسول الله جزينا به؟! فقال له :« غفر الله لك يا أبا بكر! ألست تمرض؟ ألست تنصب ؟ ألست تحزن ؟ ألست تصيبك اللأواء ؟» قال : بلى . قال : « فهو ما تجزون به »[1] .

هذا من فضل الله عز وجل ، وقال النبي ﷺ :« ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا أذى ولا غم ؛ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه »[2] . كل ما يصيبك من آلام مادية ، أو آلام نفسية ، حتى الهم والغم والحزن ، ومهما كانت صغيرة ، حتى الشوكة تشاكها ، تصاب بشوكة في رجلك ؛ هذا يكفر الله بها من خطاياك ، ولذلك كان « أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأولياء فالأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦٨) وقال مخرّجوه : صحيح بطرقه وشواهده ، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه بين أبي بكر بن أبي زهير وبين أبي بكر الصديق ، ورواه ابن حبان في صحيحه كتاب الجنائز (٢٩١٠) وأبو يعلى في مسنده (٩٨/١) والحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة (٧٨/٣) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الشعب (١٥١/٧) وفي الكبرى كتاب الجنائز (٣/ ٣٧٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في المرض (٥٦٤٢) ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣) وأحمد في المسند (٨٠٢٧) والترمذي في «الجنائز (٩٦٦) وأبو يعلى في مسنده (١٢٣٧) والبيهقي في الشعب (١٥٧/٧) وفي الكبرى كتاب الجنائز (٣٧٣/٣) عن أبي سعيد وعن أبي هريرة .

دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه[1]» حتى يمشي المؤمن على الأرض وليس عليه خطيئة ، من كثرة ما أصابه من بلاء ، ومن أذى ، ومن أشياء ، نفضت عنه ذنوبه كلها ، هذه كلها من فضل الله تبارك وتعالى .

هناك حمامات ومطهرات كثيرة أيها الإخوة ، على الإنسان أن يستفيد منها ، ولا يبقي ذنوبه متراكمة عليه ؛ حتى تثقل ظهره ، وحتى ترديه في النار ، وأمامه هذه الفرص متاحة .

فيا أيها الإخوة لا تيأسوا من رحمة الله ، لا تيأسوا من فضل الله أبدا . فإن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الإنسان معصوماً ؛ ولكن قدّر له أن يذنب ، وأعطاه فرصاً كثيرة ، ليغتسل من ذنوبه ، والسعيد من وفق لاغتنام هذه الفرص ، وتطهر من هذه الذنوب أولاً بأول ، لا تسوّف ، لا تؤخر إلى الغد ، فإنك لا تدري أيأتي عليك الغد أم لا ؟

الذنوب خطر على البشرية :

هذا ما أنصح به إخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات . الذنوب خطر على الفرد ، خطر على الأسرة ، خطر على المجتمع ، خطر على الأمة ، خطر على البشرية كلها ، الذنوب خطر على البشرية . ما نسمعه الآن من تلوث البيئة ، وفساد البيئة ، واختلال التوازن في الكون ، ثقب الأوزون . . . وهذه الأشياء ؛ كلها من المعاصي ، من إسراف الإنسان ، ومن خروج الإنسان عن نهج الاستقامة والاعتدال الذي رسمه الله له ، وليس هناك أولى من الاستقامة على أمر الله ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢)

---

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠٢٣) والترمذي في الزهد (٢٣٩٨) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب الطب (٧٤٣٩) والدارمي في سننه في الرقاق (٢٧٨٣) وابن حبان في صحيحه كتاب الجنائز (٢٩٠٠) والحاكم في مستدركه كتاب الإيمان (٩٩/١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٤٩).

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

مؤتمر الديمقراطية والإصلاح في الوطن العربي[1] :

افتتح أمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني بالأمس مؤتمراً ، وألقى فيه خطاباً هاماً ، هذا المؤتمر عن الديمقراطية والإصلاح في الوطن العربي ، وذكر الأمير في خطابه أموراً لو أن العرب اهتموا بها ، وعملوا على ضوء هذه الأمور لاستقام حالهم ، وأنا أريد أن أركز على أمرين من الأشياء التي جاءت في هذا الخطاب .

الأمر الأول : حاجة الأمة إلى الإصلاح :

هو أن أمتنا جميعاً في حاجة إلى إصلاح ، قد سبق أن تحدثت عن الإصلاح في خطبتين سابقتين من فوق هذا المنبر ، ولا يدعي أحد أنه في غنى عن الإصلاح ! كل أنظمتنا ملكية أو جمهورية ، يمينية أو يسارية ، مشرقية أو مغربية ، في حاجة إلى الإصلاح . الإصلاح ضروري ، والشعوب كلها تنادي بالإصلاح . ولذلك أنا أرى أن الإصلاح فريضة وضرورة . فريضة يوجبها الدين ، وضرورة يحتمها الواقع . على أمتنا أن تستيقظ من سباتها ، وأن تعلم أنه لا مكان في هذا المجتمع العالمي لأمة تعيش منعزلة عن نفسها . لشعب يقول :

---

(١) أقيم المؤتمر في الدوحة بتاريخ : ٤ يونيو ٢٠٠٤م .

OBEIKAN.COM

أنا مالي والناس . أو لحاكم يسوق شعب كأنما هو قطيع من الأغنام ، يسوقهم بعصاه أو بهراوته . لا . العالم كله يتنادى بالإصلاح والديمقراطية ، لا بد لأمتنا أن تقدر هذه الحقيقة؛ أن الجميع في حاجة إلى الإصلاح ، والإصلاح ليس عيباً ، لأن أحداً لا يدعي أنه كامل مئة في المئة . الكل يقول : هناك نقص ، لماذا لا نستكمل هذا النقص؟ المتنبي قال قديماً :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

إذا كنا نقدر على أن نتمم نقصنا ، ونصلح ما فسد من حياتنا ، فلماذا نؤجل هذا؟ ولماذا ندع الآخرين أن يطالبونا بالإصلاح؟ ونحن أولى الناس بأن نصلح أنفسنا ، نصلح أنفسنا بأيدينا ، ولأهدافنا لا لأهداف غيرنا ، ومن منطلقاتنا الخاصة بنا ، لنراعي خصوصيتنا الدينية ، وخصوصيتنا الثقافية ، وخصوصيتنا الحضارية ، هذا ما لا بد منه .

الأمر الثاني : الديمقراطية الحقيقية من روح الإسلام[1] :

الأمر الثاني : أن الديمقراطية الحقيقية ـ غير الزائفة ـ مقتبسة من روح الإسلام .

بعض الناس يرى أن الديمقراطية ضد الإسلام ، وقد ذكر الأمير في خطابه أن هؤلاء الناس يضادون الإسلام نفسه ، وأنا شخصياً سمعت ، ورأيت ، وناقشت هؤلاء الناس في مصر ، وفي الجزائر ، وفي أفغانستان ، بعضهم يقولون : إن الديمقراطية ليست من الإسلام ، وبعضهم يقول : الديمقراطية كفر . وناقشت هذا في إحدى فتاواي ، ورددت على هذا الباطل[2] .

---

(١) للمزيد راجع لفضيلة الشيخ خطبة كاملة عن الديمقراطية (ج٧/ ص٢٦٩-٢٨١).

(٢) انظر : كتاب فتاوى معاصرة (ج٢/ ٦٣٦-٦٥١).

الحكم الفرعوني مرفوض :

بعض الناس يقول : الديمقراطية حكم الشعب ، ونحن نريد حكم الله! وأحب أن أقول ـ أيها الإخوة ـ : إن كلمة حكم الشعب ليست في مقابلة حكم الله ، إنما حكم الشعب في مقابلة حكم الفرد المطلق المستبد ، ولذلك قال الأمير في كلامه : نحن نريد ثقافة جديدة ، لا نريد عملية تجميلية ، أو إجراءات شكلية ، نريد ثقافة تطرد ثقافة الهيمنة ، والاستبداد ، والجبروت بالشعوب ، الإسلام لا يقبل حكم الجبابرة ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (إبراهيم:١٥) . ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (غافر:٣٥) ، الذين يستبدون بالشعوب ، هذا شأن فرعون الذي لعنه الله ، ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ (الزخرف:٥٤) ، ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ (هود:٩٨) ، ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص:٤) .

هذا حكم فرعوني مرفوض ، الإسلام يريد أن تحكم الشعوب بحاكم يحبونه ويختارونه « خيرِ أمراءكم الذين تحبونه ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم ـ أي تدعون لهم ويدعون لكم ـ وشرار أمراءكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم »[1] ، ليس هناك أي ثقة بين الطرفين ، يجب أن يكون الحاكم محبوباً من شعبه ، مختاراً منهم ، مبايعاً مبايعة عامة .

ليس كل جديد مرفوضا :

هذا ما يريده الإسلام ، أما أن يدعى أن الديمقراطية ضد الإسلام! من قال هذا؟!

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٥) عن عوف بن مالك ، وأحمد في المسند (٢٣٩٨١) .

ORIENTAN.COM

قال بعضهم : إن الديمقراطية بدعة مستوردة ، و« كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار »[1] قلت لهم : لا . جوهر الديمقراطية ليس مستورداً ، جوهر الديمقراطية : هي الشورى ، هي النصيحة في الدين ، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هي حرية النقد والتعبير ، هذه كلها قضايا إسلامية ، وتعاليم إسلامية واضحة . الجديد هو الآليات والأساليب والضمانات .

ما المانع أن نأخذ أسلوب الانتخاب من الديمقراطية الغربية؟ هل هناك مانع من هذا؟ أن تكون هناك هذه الصناديق ، وكل شخص يدلي برأيه ، ما المانع من هذا؟ المسلمون استوردوا بعض الأشياء ، سيدنا عمر أخذ نظام الدواوين من الروم ، وأخذ نظام الخراج من الفرس ، والنبي ﷺ أخذ حفر الخندق من الفرس ؛ أشار به سلمان الفارسي . لا مانع أن تقتبس من غيرك ما ينفعك إذا كنت محتفظاً بشخصيتك وهويتك ، وروحك ، وخصوصيتك .

الأخذ برأي الأغلبية له أصل في الإسلام :

ناقشني كثير من الإخوة السلفيين ، والإخوة التحريريين ، الذين يرفضون هذا كله ، ولم يكن لهم حجة فيما يقولون . قالوا : نظام التصويت هذا ؛ والأخذ بالأغلبية ليس من الإسلام ، قلت لهم : لا . بل هو نظام إسلامي صميم . الأخذ بالأكثرية ، برأي الجمهور ؛ كما يقول الفقهاء . النبي أخذ برأي الأكثرية في غزوة أحد[2] ، ونزل على رأيهم ، وكان خلاف رأيه . سيدنا عمر قال ـ في قضية الستة أصحاب الشورى ـ قال : إذا اتفق خمسة وواحد خالف ، فإما أن

---

(١) جزء من حديث أوله « إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧) عن جابر ، وأحمد في المسند (١٤٣٣٤) وابن ماجه في المقدمة (٤٥) والنسائي في المجتبى كتب صلاة العيدين (١٥٧٨) .

(٢) قصة مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في أحد ؛ تراجع في السيرة النبوية لابن هشام (٧١/٣) وغيره من كتب السيرة .

يتبع لرأي الخمسة أو اضربوا عنقه[1] ؛ حتى لا يحدث فتنة ، أربعة واثنين يجب أن يخضع الاثنين للأربعة ، ثلاثة وثلاثة فيأخذون مرجحاً من الخارج ؛ عبد الله بن عمر ، فإن لم ترضوا به فالثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، اعتبر له ميزة ترجيحية كأنما اعتبر صوته هذا بالمرجح .

من قال : إن التصويت بالأغلبية ليس من الإسلام؟ النبي ﷺ جاء عنه أحاديث يقول فيها:« اتبعوا السواد الأعظم »[2]، الأغلبية ، وقال لأبي بكر وعمر :

---

(١) هذا المشهور في قصة استخلاف عمر رضي الله عنه ، ولكن كل ما جاء عن عمر من ضرب أعناق المخالف عند الطبري (٢/ ٥٨١) وغيره ، من رواية أبي مخنف ، وهو لوط بن يحيى (ت ١٥٧ هـ) وهو متهم عند علماء الجرح والتعديل ، قد قال عنه ابن حيان : رافضي يشتم الصحابة ويروي الموضوعات عن الثقات (لسان الميزان ٣٦٦/٤) وقال الذهبي : إخباري تالف لا يوثق به. ومثله قال ابن حجر في (ميزان الاعتدال ٤١٩/٣ ، ٤٣٠) وأكثر العلماء كلاما فيه ابن عدي حيث قال : حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين، ولا يبعد منه أن يتناولهم ، وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم، وإنما وصفته للاستغناء عن ذكر حديثه ، فإني لا أعلم من الأحاديث المسندة ما أذكره ، وإنما له من الأخبار المكروه الذي لا أستجيز ذكره (الكامل ٢١١٠/٦) والذي رواه ابن سعد في الطبقات : أن عمر قال : ادعوا لي صهيبا ، فدعي ؛ فقال : صل بالناس ثلاثا ، وليخل هؤلاء القوم في بيت ، فإذا اجتمعوا على رجل ؛ فمن خالفهم فاضربوا رأسه. (٣/ ٣٤٢) والذي يفهم من هذا : أن عمر أمر بضرب المخالف من جمهور الناس لا من الستة الذين هم أهل الشورى .

(٢) ثبت في الحديث التنويه (بالسواد الأعظم) ، والأمر باتباعه ، والسواد الأعظم يعني : جمهور الناس وعامتهم والعدد الكبير منهم ، والحديث روي من طرق بعضها قوي ، ومن ذلك ما جاء مرفوعاً عن ابن أبي أوفي قال :(يا ابن جهمان عليك بالسواد الأعظم ، عليك بالسواد الأعظم ، إن كان السلطان يسمع منك فائته في بيته ، فأخبره بما تعلم ، فإن قبل منك ، وإلا فدعه فإنك لست أعلم منه) رواه أحمد (١٩٤١) وقال مخرّجوه : رجاله ثقات غير حشرج بن نباتة ، فقد وثقه أحمد ويحيى بن معين ، وأبو داود ، والعباس بن عبد العظيم العنبري ، وقال أبو زرعة : لا بأس به مستقيم الحديث ، واختلف قول النسائي فيه.... وسعيد بن جهمان صدوق له أفراد فيما قاله الحافظ في التقريب ، وقال البخاري : في حديثه عجائب. وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات (٤١٤/٥) ورواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧) عن ابن عمر بلفظ :« ما كان الله ليجمع هذه الأمة على ضلالة أبداً ، ويد الله مع الجماعة هكذا ، فعليكم بالسواد الأعظم ، فإنه من شذ شذ إلى النار» وقال : حديث غريب من هذا الوجه ، وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان ، وقد روى عنه أبو داود الطيالسي ، وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم ، ورواه الحاكم في مستدركه كتاب العلم (١٩٩/١) وقال : خالد بن يزيد القرني هذا شيخ قديم للبغداديين، ولو حفظ هذا الحديث لحكمنا له بالصحة، والخلاف الثاني فيه على المعتمر. وقال الذهبي : لو حفظه خالد لحكمنا له بالصحة ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٨٢).

« لو اتفقتما على رأي ما خالفتكما »[1] ، لأنه سيكون رأيين ضد واحد ، أما إذا اختلفتما فمن حقي أن آخذ برأي أي واحد منكما .

هذا هو الإسلام . لماذا يقولون : إن الإسلام يرفض الديمقراطية ؟ وهل يريد الإسلام الاستبداد؟ أن يوجد حاكم يتحكم في رقاب الناس ، وفي أموال الناس ، وفي حقوق الناس ، وفي حريات الناس؟ هذا هو الفرعون المتأله في الأرض الذي يرفضه الإسلام .

المهم هو حقيقة الديمقراطية وجوهرها :

ولكني أيها الإخوة ؛ أريد أمراً آخر مهماً ، ليس المهم هو شكل الديمقراطية ، المهم هو حقيقة الديمقراطية ، جوهر الديمقراطية ، هناك ديمقراطيات كثيرة في بلادنا العربية والإسلامية ؛ ولكنها للأسف ديمقراطيات زائفة ، ديمقراطيات التسعات الأربع (٩٩,٩٩) هل هذا كلام معقول؟ هل هناك بشر يأخذ هذه النسبة كأنه لا يعارضه أحد؟ هذا ما نجده في بلادنا ، وأخذنا عن الاشتراكيين : أن الانتخابات أو الاستفتاءات التي قال فيها أحد الكتاب الماركسيين : إنها سباق يعدو فيه حصان واحد .

السباق المفروض أنه لعدة أحصنة ولكن هنا حصان واحد فقط فمن سيسابق؟ يعني تنتخب فلان أم لا؟ ليس هذا نظاماً ديمقراطياً ؛ بل تنتخب فلانا أم فلانا أم فلانا؟ هذه هي الديمقراطية ؛ أن تُخَيّر بين عدة أشخاص ، هذا للأسف ما نجده في كثير من البلاد .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٩٩٤) عن عبد الرحمن بن غَنم ، وقال مخرّجوه : إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب ، وحديث عبد الرحمن بن غَنم عن النبي مرسل ، ورواه الطبراني في الأوسط (٢١٢/٧) عن البراء بن عازب ، وقال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه حبيب ابن أبي حبيب كاتب مالك ، وهو متروك (٣٨/٩).

OBEIKAN.COM

بدعة جديدة هي : الجمهوريات الدائمة :

ثم أصبحت هناك بدعة ، هذه البدعة الحقيقية التي حدثت في بلادنا العربية والإسلامية ، الجمهوريات الدائمة ، الأنظمة الملكية والأميرية لها نظامها الخاص المتوارث المعروف ، وله حدوده وقيوده وضوابطه . ولكن الجمهورية ، والأخذ بالنظام الجمهوري هو : تداول السلطات والرؤساء ، ولكن عندنا الرئيس مخلد لا يزول عن ملكه أبداً ، في كثير من البلاد يوجد في حفل واحد عدة رؤساء سابقين ؛ في أمريكا في أحد المحافل كان يوجد بوش الحالي ، وكلينتون ، وبوش الأب ، وريجان ، وكارتر ، أربعة أو خمسة من الرؤساء السابقين ، هاتوا لي فيما عدا لبنان أي بلد جمهوري فيه رئيس سابق؟ لا يوجد . لا بد أن يموت الرئيس ، أو يتم الانقلاب عليه .

ثم هناك بدعة جديدة في بلادنا العربية والإسلامية هو توريث الرئاسة الجمهورية ، أن تورث الرئاسة من الآباء إلى الأبناء ، كأنها «عزبة» يرثها الخلف عن السلف ، والابن عن الأب ، والحفيد عن الجد .

الديمقراطية التي نريد :

ليست هذه هي الديمقراطيات التي نريدها ، إذا كنا نريد ديمقراطيات ؛ نريد ديمقراطيات حقيقية ؛ تقوم على الشفافية ، والمصارحة ، وإعطاء الحرية للناس ، وإعطاء حق النقد والمعارضة . عليّ بن أبي طالب وقف أحد معارضيه من الخوارج الذين قالوا فيه ما قالوا ، وقال هذا الخارجي : لا حكم إلا لله! فقال علي رضي الله عنه : كلمة حق أريد بها باطل[1] . صحيح أنه لا حكم إلا لله ، ولكن هل سينزل الله من فوق عرشه ، يحكم بين البشر؟ أو أن البشر يحكم بعضم بعضا ، ومن هنا قبل التحكيم ، ولذلك قال في شؤون الأسرة ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا**

---

(١) رواه ابن أبي شيبة والبيهقي ، وقد سبق تخريجه .

﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء:٣٥) ، وقال في شؤون الصيد في الحج ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ﴾ (المائدة:٩٥) فقال : كلمة حق يراد بها باطل ، يعني : أن الكلمة في ذاتها صحيحة ، ولكن المقصود منها غير صحيح ، وهو رفض حكم البشر . ثم قال : لكم علينا ثلاث : أن لا نمنعكم مساجد الله ، أن تصلوا فيها معنا ، وأن نعطيكم حقكم من الفيء ، إذا كانت سيوفكم مع سيوفنا ـ تأخذوا حقكم من الغنائم ما دمتم تجاهدون معنا ـ وأن لا نبدأكم بقتال[1] . لا بد أن تبدؤوا بقتال حتى نقاتلكم . فحفظ لهم حق الوجود ، وهم كانوا يمثلون حزب المعارضة ، لأن الخوارج جماعة لها رؤساءها ، ولها فكرها ، ولها مبادئها ، فهي حزب ، وحزب مسلح في ذلك الوقت ، لأن العرب كانوا يحملون السلاح ، ومع هذا ما داموا لا يشهرون السلاح ؛ فمن حقهم أن يعيشوا . هذا هو الإسلام .

نريد لبلادنا الإسلامية ؛ أن تتحرر تحرراً حقيقياً من سلطان الجبارين ، والمستبدين ، والقاهرين للشعوب ، نريد لهذه الشعوب أن تتنفس ، وأن تقدر أن تقول : لم؟ وأن تقول : لا . لا يمكن أن تحيا هذه الأمة إذا كانت تساق بالعصا ، وتعامل معاملة العبيد . سوق الناس بالعصا لا ينشئ أحرارا ، وإنما ينشئ أمة من العبيد ، والعبيد لا يستطيعون أن ينشئوا حضارة ولا أن يقيموا استقلالاً ، ولا أن يحموا دولة ، نريد حرية هذه الشعوب .

أطالب بحرية الشعوب قبل تطبيق الشريعة :

لقد قلت في أكثر من مرة : إننا قبل أن نطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية ؛ نريد تحرير هذه الشعوب ، نريد إعطاء الحرية لشعوبنا ، وإذا أعطيت الحرية انتعش الإسلام ، وانتعشت الدعوة الإسلامية ، وانتعش الفكر الإسلامي ، والسلوك الإسلامي ؛ لأن الإسلام هو فكر هذه الشعوب ، هذه الشعوب مؤمنة

---

(١) رواه ابن أبي شيبة والطبراني ، وقد سبق تخريجه .

بربها ، وبقرآنها ، وبمحمدها ، ولم تكفر يوماً بذلك ، ولذلك نحن مطمئنون إلى أن هذه الشعوب على الخير ، وإلى الخير ، ولكن الضعف في القيادة .

نريد أيها الإخوة لأمتنا : أن تسير مسيرة الحرية والديمقراطية ، وإن كنت أنا لا أحب استعمال هذه الكلمات الأجنبية ، ولكن إذا فهمنا معنى الديمقراطية ؛ في ضوابطها وقيودها ، وهي ديمقراطية المجتمع المسلم ؛ الذي يؤمن بالإسلام مرجعاً له ، ويؤمن بالشريعة حاكمة له ، ويؤمن بالقيم الإسلامية موجهة له ، ويؤمن بالعقيدة الإسلامية أساساً لهويته ، هذه هي الديمقراطية المطلوبة ، لهذا المجتمع ، هذا المجتمع لا يمكن أن يحل ما حرم الله ، أو يحرم ما أحل الله ، أو يسقط ما فرض الله ، أو يشرع ما لم يأذن به الله .

أسأل الله تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا ، وأن يهدينا سبيل الرشد ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا ، وأن يجعل يومنا خيرا من أمسنا ، ويجعل غدنا خيرا من يومنا ، ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها ، ويجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . . . . . .

* * *

OBEIKAN.COM

(١٨)

الإسلام واستشراف المستقبل[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمين :

تُهَمٌ باطلةٌ وأدلةٌ مغلوطةٌ :

كنت أقرأ من قريب مقالا لأحد العلمانيين في إحدى الصحف العربية ، وكان يحذر من الثقافة الدينية ، ويقول : إن هذه الثقافة تحمل دائما أفكارا رجعية ، تؤخر الناس إلى الوراء ، ولا تقدمهم إلى الأمام . وذكر مثلا لذلك : أن هذه الثقافة تربط الناس دائما بالماضي ، ولا تربطهم بالحاضر ، ولا تجعلهم يفكرون في المستقبل ، فالمسلمون والمتدينون أناس ماضويون . لا يعرفون إلا الأمس ؛ إلا ما مضى ، أما المستقبل فلا يستشرفونه ، ولا ينظرون إليه ، واستشهد على ذلك بأنهم يقولون : إن المستقبل غيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، إنه من اختصاص الله وحده ، فلا ينبغي للإنسان أن يقحم نفسه فيما لا يحسنه ، وفيما يختص الله تعالى به .

ومن ناحية أخرى قالوا : إن النظرة إلى المستقبل والتخطيط للمستقبل ينافي التوكل على الله ، فالإنسان المسلم المتدين متوكل على الله ، والتوكل على الله عندهم أن يطرح الأسباب ويتوكل على رب الأرباب ؛ فمن أجل هذا لا ينتظر

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة ، في يوم الجمعة ٥ من شعبان ١٤٢٦هـ ، الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠٥م .

OBEIKAN.COM

ولا يرتقب من دعاة الإسلام أن تتقدم الأمة على أيديهم ، لأن الأمة التي تتلقى هذه الثقافة تعيش في الماضي أبدا ، لا تعيش في الحاضر ، ولا تفكر في المستقبل ، ولأن معنى ذلك : أن هذه الأمة لا تخطط لنفسها ، ولا تعمل لغدها.

التعميم في مثل هذه الأمور لا يجوز :

هكذا يتصورون الثقافة الدينية أو الثقافة الإسلامية ، ولو قال الكاتب : إن بعض من يتبنون الثقافة الدينية ، وتثقيف الناس في المساجد ، أو على المنابر ، أو في الدروس الدينية ، يحملون هذا الفكر القاصر ، أو هذا الفكر المسموم ، أو هذا الفكر الرجعي ، لكان معقولا . أما أن يتهم الثقافة الدينية ، وبعبارة أخرى الثقافة الإسلامية : بأنها ثقافة رجعية ، وتؤخر الناس إلى الوراء ، فهذا اتهام للإسلام نفسه .

هؤلاء للأسف يكتبون ولا يرد عليهم أحد ، وتفتح لهم الصحف أبوابها وأعمدتها ، يملؤونها بما يعرفون ولا يعرفون . أنا لا أنكر : أن هناك ممن يثقف الناس دينيا على المنابر وفي الدروس من يحمل مثل هذه الأفكار القاصرة ، والأفكار المغلوطة ، والأفكار الرجعية ، ولكن تعميم هذا هو الذي ننكره .

نظرة الإسلام الحقيقية إلى الزمن :

أيها الإخوة : إن الإسلام في ثقافته الحقيقية ، وثقافته الصحيحة ؛ يربط الإنسان بالغد ؛ كما يربطه بالأمس . إنه يجعل المسلم يعيش متوازنا مع زمنه كله ؛ مع أمسه ويومه وغده . إنه ينظر إلى الأمس ليأخذ منه العبرة ، وينظر إلى اليوم ليعايشه ويعمل فيه ، وينظر إلى الغد ليفكر فيه ويعد له العدة . هذا هو شأن الإنسان المؤمن . مضى اليوم ؛ ولكن ليس معنى مضي اليوم أنه انتهى ؛ لا . إنك محاسب على كل ما مضى من زمنك ، ستُسأل عن كل يوم مضى من

زمنك ، عن كل ساعة ، عن كل دقيقة ؛ ماذا عملت فيها؟ وماذا أردت بهذا العمل؟ وكم أصبت؟ وكم أخطأت؟ وكم أصلحت؟ وكم أفسدت[1]؟

لا بد للإنسان أن يفكر فيما مضى ، فإن الله أعطى الإنسان ذاكرة حتى يتذكر ما فات . بعض الناس يقولون : ما فات مات . لا . إنه لم يمت . إن الماضي يحكم على الحاضر ، ويؤثر في المستقبل . المسلم يعتبر بالماضي ، ويعايش الحاضر ، الحاضر له حق ، لا ينبغي أن يغفل الناس عن حاضرهم ، وعن واجب الحاضر . إن النبي عليه الصلاة والسلام يعلمنا بهذا الحديث الرائع حق الحاضر علينا فيقول : « إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ـ شتلة أو نخلة صغيرة ـ فإن استطاع أن لا تقوم ـ يعني ألا تقوم الساعة ـ حتى يغرسها فليفعل »[2] .

الساعة ستقوم ؛ وفي يده هذه الشتلة ، أو هذه النخلة الصغيرة ؛ إن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها! لماذا يغرسها؟ إنه لن يأكل منها ، لا هو ولا أحد من بعده ، والساعة قائمة ؛ إنه حق اللحظة الحاضرة . اللحظة الحاضرة تقتضي أن يعمل فيها ؛ سواء انتفع بعمله أحد أم لم ينتفع ، لأنه مستخلف في هذه الأرض ، يعمرها ما دام حيا ، ما دام فيه عرق ينبض ، ونفس

---

(١) جاءت بذلك الآيات والأحاديث. أما الآيات فمثل قوله تعالى : ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأعراف:٦)، وقوله سبحانه : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ (الصافات:٢٤) وأما الأحاديث ؛ فمنها قوله ﷺ :« لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم». رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧) عن أبي برزة الأسلمي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح. وسعيد بن عبد الله بن جريج هو بصري ، وهو مولى أبي برزة ، وأبو برزة اسمه نضلة بن عبيد .

(٢) رواه أحمد (١٢٩٨١) عن أنس بن مالك ، وقال مخرّجوه : إسناده صحيح على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين ؛ غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ، وأخرجه الطيالسي (٢٠٦٨) وعبد ابن حميد (١٢١٦) والبخاري في الأدب المفرد (٤٧٩) والبزار في كشف الأستار(١٢٥١) ورواه البخاري في الأدب المفرد (٤٧٩).

OBEIKAN.COM

يتردد ، فلا بد أن يظل عاملا منتجا مِعْطاء ، إنه يتعبد لله بالعمل ، « إن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها » هذا هو حَقُّ الحاضر ، حَقُّ اللحظة الحاضرة ، هكذا يعلم الإسلام المسلم .

الإسلام يأمر باستشراف المستقبل :

ثم هو يجعله ينظر إلى المستقبل ، يفكر في المستقبل ، يستشرف المستقبل . ليس هذا من الاجتراء على عالم الغيب ، أو إقحام نفسه فيما لا يعلمه إلا الله . لا . إنه لا يفعل هذا عن طريق الكهانة والتنجيم ؛ ولكن عن طريق الدراسة والعلم ، وبناء النتائج على المقدمات ، والمسببات على الأسباب ، كما نسمع في نشرة الأخبار عن هبوب الرياح ، ونزول الأمطار ، والحرارة والبرودة ، هذا بناء على وصف أشياء في الجو ، يرصدها ويقول : سيحدث كذا وكذا ، هذا بناء على سنن الله عز وجل . نحن ننظر إلى المستقبل هكذا ، وهكذا علمنا الإسلام .

النظرة المستقبلية في العهد المكي :

القرآن الكريم ـ منذ العهد المكي ـ يعلم المسلمين كيف ينظرون إلى المستقبل . كان هناك دولتان كبريان ، تتنازعان السيادة على العالم : دولة الفرس في الشرق ، ودولة الروم في الغرب . أشبة بالروس والأمريكان كما كانوا في عصرنا . وحدث بينهما حرب ، انتصر فيها الفرس على الروم ، فرح الوثنيون من المشركين من قريش ، وحزن المسلمون ، فرحوا بانتصار الفرس ، لأنهم مجوس يعبدون النار ، يؤلهون النار كما يؤلهون هم الأوثان والأحجار ، فهم أقرب إليهم ، والمسلمون حزنوا على انهزام الروم ، لأنهم نصارى أهل كتاب ، أقرب إليهم . ولكن القرآن نزل يعلم المسلمين ألا يقفوا عند انهزام الروم ، الروم غلبوا فعلا ، ولكن لماذا يقفون عند هذا الماضي؟ ليفتحوا أعينهم على المستقبل ، المستقبل يحمل أشياء كثيرة ، وهنا تنزل سورة الروم :

(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ - غلبوا هذا ماض ولكن لا يقف عند هذا الماضي ، هذا الماضي سيتغير - ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الروم:١-٥) .

هكذا علمنا القرآن ألا نقف عند الماضي،وأن نتطلع ونرنو إلى الأفق البعيد، إلى المستقبل ، علمنا القرآن ذلك ، حينما نزل في سورة القمر وهي مكية ، قول الله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر:٤٥) ، نجد سيدنا عمر يقول : كنت أقرأ هذه الآية وأقول : أي جمع يهزم؟ وأي جمع يغلب؟ سيهزم الجمع ؛ جمع المشركين وجمع قريش ، وهم لهم القوة والسلطان !! يقول : حتى رأيت النبي ﷺ يوم بدر ، يثب في درعه ويقرأ هذه الآية ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ يقول فعرفت تأويل هذه الآية يومئذ[1] .

إنها كانت تعد العقلية المسلمة للغد المُرْتَقَب ، للتغيير الحتمي ، الذي يسير وِفْقَ سنن الله ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ، هكذا علمنا الإسلام أن ننظر إلى المستقبل .

---

(١) قراءة النبي ﷺ لآية القمر عند البخاري وغيره عن ابن عباس بلفظ : « أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر : اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا ، فأخذ أبو بكر بيده وقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك ، فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر:٤٥) رواه البخاري في الجهاد والسير(٢٩١٥) والنسائي في « الكبرى » كتاب التفسير (١١٤٩٣) وأما كلام عمر فقد رواه ابن أبي حاتم بسنده عن عكرمة قال : لما نزلت : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر:٤٥) قال عمر : أي جمع يهزم وأي جمع يغلب؟ قال عمر : فلما كان يوم بدر ، رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع و هو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ (القمر:٤٥،٤٦) فعرفت تأويلها يومئذ. البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٧٦) .

لقد نزلت سورة المزمل على النبي ﷺ في مكة ، وكان الصحابة معه يقومون نصف الليل ، أو أكثر من نصفه ، فخفف الله عنهم ، ونزلت الآية الأخيرة من سورة المزمل ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ (المزمل:٢٠) ، هذا التخفيف في قيام الليل والقراءة ؛ لأنه سيأتيكم أيام تحاربون فيها ، وتقاتلون في سبيل الله ، وتضربون في الأرض ، يهيئهم لهذا المستقبل . هذا في العهد المكي .

النظرة المستقبلية في العهد المدني :

في العهد المدني حينما أصيب المسلمون في أحد استشهد منهم سبعون ، من أبطال المسلمين من أمثال : أسد الله وأسد رسوله : حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ، ومصعب بن عمير ، وعبد الله بن جحش . وحزن المسلمون حزنا شديدا على انكسارهم يوم أحد ، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمهم أن المستقبل لهم ، وأنهم لا ينبغي أن ينكسروا ، أو أن يشعروا بالهزيمة في أنفسهم من أجل معركة ، يقول : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ (آل عمران:١٣٩،١٤٠) [1]

---

(١) ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية : عزَّاهم وسلاَّهم بما نالهم يوم أحد من القتل والجراح ، وحثَّهم على قتال عدوهم ، ونهاهم عن العجز والفشل ؛ فقال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ ﴾ أي لا تضعفوا ولا تَجْبُنوا يا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم ، ﴿ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ على ظهورهم ، ولا على ما أصابكم من الهزيمة والمصيبة ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ ﴾ أي لكم تكون العاقبة بالنصر والظفر . تفسير القرطبي (٢١٣/٤) .

مراعاة السنن الإلهية :

هناك سنة إلهية ؛ سنة التداول ؛ تداول الأيام . الدهر يومان ; يوم لك ، ويوم عليك . ودوام الحال من المحال . وهكذا علمهم القرآن ، وعلمهم النبي ﷺ ، علمهم أن ينظروا إلى المستقبل ، ليست هذه هي القاضية ، إن مع اليوم غدا ، وإن غدا لناظره قريب ، هكذا كان القرآن يعلم المسلمين ، حينما تقرأ القرآن ترى هذا واضحا ، حرف السين الذى يأتى مع الفعل المضارع مثل قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل:٩٣) ، هذا في المستقبل ، إنه يدل على المستقبل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت:٥٣) ، هكذا يعلم القرآن المسلمين ، وتعلمهم السنة كذلك أن ينظروا إلى الغد ، ويفكروا في المستقبل ، كان الرسول ﷺ يعلم أن هذا الواقع الذي يعيشه المشركون ، في مكة وفي غيرها ، لا بد أن يزول ، لأنه يحمل في نفسه أسباب زواله ، لا بد أن يزول ؛ ولكنه أيضا سيزول وفق سنن الله عز وجل ، فسنن الله لا تحابي أحدا ، ولا تلين لأحد ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يعلم الصحابة ألا ييأسوا مهما اشتدت بهم الكروب ، ومهما تتابعت عليهم الخطوب ، ومهما نزل بهم الأذى ، ومهما اشتد عليهم البلاء ؛ فإن هذا لا بد أن يتغير .

جاءه أحد الصحابة ـ خباب بن الأرت ـ وكان عند سيدة له تعذبه[1] ، تكويه بالنار ، فضاق به الحال يوما ـ الضعف الإنساني يغلب أحيانا ـ ذهب خباب رضي الله عنه إلى الرسول ﷺ وهو متوسد رداءه في ظل الكعبة فقال يا رسول الله : ألا تدعو

---

(١) هي أم أنمار .

لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فجلس النبي ﷺ مغضباً قائلاً : «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ؛ لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون»[1]. العجلة هي التي تدفع بالإنسان إلى الثورة على حاضره ، وعدم انتظار المستقبل .

وحينما خرج النبي ﷺ في الهجرة ، وجاءه سُراقة بن مالك يطمع في الجائزة ؛ التي أعدتها قريش ، لمن يأتي بمحمد ومرافقه ، حيين أو ميتين ، وساق فرسَه وحدث له ما حدث ، وقال له النبي ﷺ : يا سراقة كيف بك إذا ألبسك الله سواري كسرى؟ فيقول سراقة : كسرى بن هرمز؟ فيقول : نعم»[2].

وعاش سراقة حتى فتح الله على المسلمين بلاد الفرس ، وجاء البشير بسواري كسرى ، وقال عمر بن الخطاب : أين سراقة بن مالك؟ تذكر وعد النبي ﷺ له ، وجاء سراقة وألبسه سواري كسرى[3].

وكان الرسول ﷺ يحفر الخندق حول المدينة ، وكلما ضرب صخرة ظهرت منها شرارة فيقول : سيفتح الله عليكم بلاد اليمن ، سيفتح الله عليكم بلاد الفرس ، سيفتح الله عليكم بلاد الروم . . . هكذا وهو محاصر ، في حالة وصفها القرآن

---

(١) رواه البخاري في المناقب رقم (٣٦١٢) وأحمد في المسند (٢١٠٩٥) وأبو داود في الجهاد (٢٦٤٩) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب العلم (٥٨٦٢) وفي «المجتبى» كتاب الزينة (٥٣٢٠).

(٢) انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (٥٨١/٢) والإصابة لابن حجر (٤١/٣).

(٣) قصة سراقة ذكرها البيهقي في السنن الكبرى ، وفيها : أن عمر قال : أين سراقة بن جعشم؟ فأتى به أشعر الذراعين ، دقيقهما. فأعطاه سواري كسرى. فقال : البسهما. ففعل. فقال : قل : الله أكبر. قال : الله أكبر. قال : قل : الحمد لله الذي سلبهما من كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة بن جعشم ؛ أعرابيا من بني مدلج. رواه البيهقي في الكبرى (٣٥٧/٦).

في قوله : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (الأحزاب: ١٠)[١] .

هكذا كان يعدهم النبي ﷺ للغد المرتقب ، كان ينظر إلى المستقبل ، نظرة المؤمن بسنن الله ، والمؤمن بقدر الله ، ويرى أنه مستقبل مشرق بإذن الله ، ويعلم الصحابة كيف يخططون للمستقبل .

التخطيط المستقبلي في حياة الرسول :

١- التخطيط في الهجرة إلى الحبشة :

ومن تأمل في حياة النبي ﷺ وسيرته ، وجدها تقوم على التخطيط لا على الارتجال والفوضى . حينما ابتلي الصحابة وعذبوا عذابا شديدا في مكة ، أشار

---

(١) قصة الصخرة رواها النسائي وغيره وفيها : لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق ، عرضت لهم صخرة ، حالت بينهم ، وبين الحفر ، فقام رسول الله وأخذ المعول ، ووضع رداءه ناحية الخندق وقال : (وتمت كلمة ربك صدقا ، وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم) فندر - أي سقط ووقع - ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله برقة ، ثم ضرب الثانية وقال : (وتمت كلمة ربك صدقا ، وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم) فندر الثلث الآخر ، فبرقت برقة ، فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : (وتمت كلمة ربك صدقا ، وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم) فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله ،فأخذ رداءه وجلس.قال سلمان يا رسول الله، رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربة ، إلا كانت معها برقة ، قال له رسول الله : يا سلمان ، رأيت ذلك ؟ فقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى ، رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ، ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني . قال له من حضره من أصحابه : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ، ويغنمنا ديارهم ، ويخرب بأيدينا بلادهم . فدعا رسول الله بذلك . ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها ، حتى رأيتها بعيني . قالوا : يا رسول الله ، ادع الله أن يفتحها علينا ، ويغنمنا ديارهم ، ويخرب بأيدينا بلادهم ، فدعا رسول الله بذلك . ثم ضربت الثالثة ، فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى ، حتى رأيتها بعيني . قال رسول الله عند ذلك : دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم. رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٠٢) والنسائي في «الكبرى» في الجهاد (٤٣٧٠) وفي الصغرى (٣١٧٦) والبيهقي (١٧٦/٩) عن رجل من الصحابة. وحسنه الألباني في صحيح النسائي برقم (٢٩٧٦) .

عليهم الرسول الكريم بأن يذهبوا إلى الحبشة ، لم يكن هذا ارتجالا ولا فكرة عشوائية ، ولكن بناء على معلومات وتخطيط ؛ ومن ذلك : أن الحبشة هي المكان المناسب جغرافيا ؛ لأنها ليست بعيدة جدا ، ولا هي في جزيرة العرب ، بينها وبين جزيرة العرب بحر . وهي المناسبة دينيا ، لأن أهلها نصارى أهل كتاب ، وهي المناسبة سياسيا ، لأن فيها ملكا عادلا قال : « أرجو ألا تظلموا عنده[1] ».

٢- التخطيط في الهجرة إلى المدينة :

قصة الهجرة إلى المدينة كانت بناء على تخطيط ، كان النبي ﷺ يعرض دعوته على قبائل العرب في مواسم الحج ، فمنهم من يرده ردا جميلا ، ومنهم من يرده ردا قبيحا . إلى أن هيأ الله له الأوس والخزرج ، وبايعهم بيعتي العقبة ، وعاهدهم على أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وذراريهم ، وبعد ذلك هاجر . أعد في الهجرة كل ما ينبغي من إعداد وتخطيط : الغار الذي سيختبئ فيه ، الرفيق الذي سيكون معه ، الفدائي الذي سيجلس في مكان نومه ، الرجل الذي يأتيه بالأخبار أيام الالتجاء إلى الغار ، المرأة التي تأتيه بالطعام ، الدليل الذي سيكون معه ، اختاره رجلا من المشركين ، ولكنه كان مأمونا ، وذلك ليدله على منعطفات الطريق التي لا يسلكها الناس عادة ، كل ما ينبغي

---

(١) جزء من حديث رواه البيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، وفيه : أنها قالت : لما ضاقت علينا مكة ، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم ، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ، وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه ، لا يصل إليه شيء مما يكره ، مما ينال أصحابه. فقال لهم رسول الله ﷺ :« إن بأرض الحبشة ملكا ، لا يظلم أحد عنده ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه» فخرجنا إليها أرسالا ، حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار ، إلى خير جار ، أمنا على ديننا ، ولم نخش منه ظلما. رواه البيهقي في الكبرى (٩/٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٩٠) .

من ترتيب وتدبير يقدر عليه البشر ، فراعاه عليه السلام[1].. هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، التخطيط ليس ضد الإيمان بالقدر وليس ضد التوكل وليس ضد الإيمان بالغيب .

التخطيط في قصة يوسف :

القرآن ذكر لنا قصة من قصص التخطيط في سورة يوسف ؛ كيف علّم الله يوسف أن يخطط لمصر ، ولكل ما حول مصر ، أثناء الأزمة والمجاعة التي حاقت بمصر وبما حولها ، بما ألهمه الله من تعبير الرؤى ، وتأويل الأحاديث ، فسر رؤيا الملك ووضع الخطة ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ (يوسف:٤٧-٤٩) .

علمهم يوسف كيف يزيدون الإنتاج ما استطاعوا في سنوات الخصب ، ﴿ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ وكيف يحسنون حفظ المحاصيل ، وكيف يقللون الاستهلاك ﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ وكيف ينظمون الاستهلاك ، ويحددونه في سنوات الجدب ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ .

خطة لمدة خمسة عشر عاما : في التخطيط الاقتصادي ، والتخطيط الزراعي ، والتخطيط التمويني ، أيام الأزمات هذه لم يذكرها القرآن عبثا ، أو لمجرد التسلية ؛ ولكن لنعرف أن هذا لا يتنافى مع الإيمان بالغيب ، ولا يتنافى مع التوكل على الله .

---

(١) راجع تفاصيل الهجرة في كتب السيرة ، ومنها : السيرة النبوية لابن كثير (٢/٢٥٤) .

معنى التوكل[1] :

التوكل ليس معناه أن تطرح الأسباب ؛ التوكل أن تأخذ بالأسباب ، تزرع الحب ، وترجو الثمار من الرب . التوكل أن تعمل بما تقدر عليه ، ثم تدع النتائج إلى الله عز وجل ؛ كما جاء أعرابي ومعه ناقته وقال : يا رسول الله أأتركها أمام المسجد؟ أم أعقلها؟ أتركها وأتوكل ، أم أعقلها؟ يعنى أربطها ولا أسيبها؟ قال له : «اعقلها وتوكل»[2] . التقييد والربط لا ينافي التوكل . خذ بالأسباب ودع بعد ذلك الأمور إلى الله عز وجل . ولذلك نرى في قصة الهجرة أن الرسول عمل كل ما يمكن من أسباب واحتياطات ، ومع هذا استطاع المشركون أن يصلوا إلى الغار الذي يختبئ فيه ، وقال أبو بكر : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ، فقال النبي ﷺ :« يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟ ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [3] (التوبة: ٤٠) ـ إحنا عملنا اللي علينا الباقي على الله ـ ما ظنك باثنين ثالثهما الله ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

هكذا يعلمنا الإسلام أن ننظر إلى المستقبل ، لا نعيش في الماضي وحده ، ولا نعيش حتى في الحاضر وحده ، الحاضر مربوط بالمستقبل .

---

(١) راجع كتابنا (التوكل) وهو الكتاب الثالث ضمن سلسلة : (تيسير فقه السلوك في ضوء الكتاب والسنة).

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٧) وقال : حديث غريب من حديث أنس ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٩٠/٨) عن أنس ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠٤٤) ورواه ابن حبان في صحيحه كتاب الرقائق (٥١٠/٢) وقال الأرناؤوط : حديث حسن ، ورواه الحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة (٧٢٢/٣) بلفظ : «قيدها وتوكل» ، وقال الذهبي : سنده جيد ، ورواه البيهقي في الشعب (٧٩/٢) عن عمرو بن أمية ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٣٢) .

(٣) متفق عليه عن البراء ، وقد سبق تخريجه .

OBEIKAN.COM

الصحابة ونظرتهم إلى المستقبل :

وكان الخلفاء الراشدون بعد رسول الله ﷺ ، يسيرون على نهجه ، ويستنون بسنته ، من نظر إلى سيرتهم ؛ وجدهم يهتمون بالمستقبل ، ويفكرون فيه ، بعد معركة اليمامة ، معركة بني حنيفة التي قتل فيها مئات من قراء القرآن ، قال سيدنا عمر لأبي بكر : يا خليفة رسول الله أرى أن تجمع القرآن ، كان القرآن في صحائف عند هذا ، وعند هذا . قال له : أرى أن تجمع القرآن ، أخشى أن يموت شيوخ القراء . قالوا : قتل في معركة اليمامة نحو سبعمائة قارئ ، وقال : أخشى أن يموت أمثال : عبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأمثال هؤلاء . تردد أبو بكر في أول الأمر ، ثم شرح الله صدره ، فجمع القرآن ، وذلك نظر إلى المستقبل[1] .

كذلك فعل سيدنا عثمان رضي الله عنه حينما جاءه حذيفة بن اليمان ، وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك . قال : بما تهلك؟ قال : باختلافها في كتاب ربها . الناس اختلفوا في القراءات . هذا يقول : قراءتي أحسن من قراءتك . وهذا يقول : قراءتي أفضل من قراءتك . فقال : اجمع الناس على مصحف واحد ، قبل أن

---

(١) قصة جمع القرآن رواه البخاري وغيره عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، قال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني ، فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ، لا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ؛ فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما . فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره. رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨٦) وأحمد في المسند (٧٦) والترمذي في تفسير القرآن (٣١٠٣) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب المناقب (٨٢٣٠) وأبو يعلى في مسنده (٦٤) وابن حبان في صحيحه كتاب السير (٤٥٠٦) والطبراني في الكبير (١٤٦/٥).

يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى ، هذه نظرة للمستقبل لا بد منها[1] .

ومن ذلك : ما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه حين رفض أن يقسّم سواد العراق حينما فتحوا العراق ؛ أرض العراق الخضراء تسمى السواد ؛ لأنها من بعيد ينظر إليها كأنها غابة سوداء ، سواد العراق رفض أن يقسمه كما قسّم النبي خيبر ، وقد طلب ذلك كثير من الصحابة ، فقال : إذا قسمت هذا ؛ ماذا أقول لمن يأتي بعدي؟ إني أريد أمرا يسع أول الناس وآخرهم . واستدل على ذلك بآيات سورة الحشر التي قسمت الفيء على المهاجرين والأنصار ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر: ١٠)[2] ، يجب أن تشترك

---

(١) قصة جمع القرآن في عهد عثمان رواها البخاري وغيره عن أنس ، وفيه : أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة ؛ أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القريشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ؛ رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨٨) والترمذي في تفسير القرآن (٣١٠٤) والنسائي في «السنن الكبرى» كتاب التفسير (١١٣٣٧) وابن حبان في صحيحه كتاب السير (٤٥٠٦) وأبو يعلى في مسنده (٩٢٩) والبيهقي في الكبرى كتاب الحيض (٢/ ٤١).

(٢) احتج عمر بهذه الآية ، وقال : ما أرى هذه الآية إلا عمت الخلق كلهم. ذكره ابن رشد في بداية المجتهد (٥٢٩/١). وقال للذين عارضوه : تريدون أن يأتي آخر الناس ليس لهم شيء؟ فما لمن بعدكم؟! رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٩٧/٢) ولعمر أيضا عند البخاري : أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس بَبَانًا ليس لهم شيء ، ما فتحت علي قرية إلا قسمتها ، كما قسم النبي خيبر ، ولكني أتركها خزانة لهم يقتسمونها. رواه البخاري في المغازي (٤٢٣٥) وأحمد في المسند (٢٨٤) وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٢٠).

الأجيال اللاحقة مع الجيل الحاضر ، حتى يدعوا لمن سبقهم ، ولا يدعوا عليهم . وبهذا تتكافل الأجيال سابقها ولاحقها .

هكذا ينبغي أن ننظر إلى المستقبل دائما ، سيدنا علي ﷺ يقول : لا تكرهوا أبناءكم على عاداتكم فإنهم خلقوا لزمن غير زمنكم . لا تكرهوهم إنهم خلقوا لزمن غير زمنكم . ها نحن نرى اختلاف الأجيال ، وأذواق الأجيال ، وأفكار الأجيال ، اترك لكل جيل أعرافه وعاداته ؛ يكررها حسب وقته ، ويطورها حسب ظرفه ، هكذا أيها الإخوة نرى الإسلام يعلمنا النظر إلى المستقبل ، ولا يحيينا في الماضي وحده ، كما يدعي المدعون .

أمتنا والمستقبل الآن :

فهل نحن فقهنا ـ نحن المسلمين ـ وفقهنا ـ نحن العرب ـ هذه الحقيقة ؟

هل نظرنا في مستقبلنا؟
هل عندنا دراسات مستقبلية كما عند الآخرين؟

الآخرون عندهم عشرات ، ومئات من المراكز والمعاهد والمؤسسات التي تنظر في المستقبل ، وأصبحت هناك علوم تسمى علوم المستقبل . المستقبليات هذه اهتم بها غيرنا ، ونحن لا نهتم بها كما ينبغي ، لا . لم تصبح جزءا أساسيا من ثقافتنا . ماذا نفعل في مستقبل الزراعة في بلادنا؟ متى نكتفي بمواردنا ولا نحتاج إلى استيراد نصف الأقوات وبلادنا بلاد زراعية؟ متى نتطور في صناعتنا؟

نحن لم نصنع موتورا حتى الآن! وهناك بلاد تعيش على الصناعات الدقيقة التي لا تحتاج إلى مواد خام . هناك بلاد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية مثل كوريا ؛ انظر أين هي الآن؟ وأين نحن؟

مستقبل التنمية في البلاد العربية ، مستقبل العلم والتكنولوجيا ، إلى متى تظل هذه الأمة لا تنظر في مستقبلها؟ وكيف تستطيع أن تخطط للمستقبل؟

OBEIKAN.COM

وهل نستطيع أن نخطط للمستقبل فرادى؟ كل بلد تخطط وحدها أم ينبغي أن نفكر بعقلية جماعية؟ على الأقل نحن العرب إن لم نقل نحن المسلمين . البلاد الصناعية الكبرى يتعاون بعضها مع بعض ، تجد دولتين أو ثلاثة تجتمع على صنع طائرة متطورة . متى نستفيد نحن من هذا أيها الإخوة المسلمون؟

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينير بصائرنا ، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ؛ فادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

أحداث تحتاج إلى تعليق :

حدثت أحداث كثيرة في هذه الأيام أكثرها يحتاج إلى التعليق .

١ – أحداث جسر الأئمة في العراق :

وأهم هذه الأحداث ما حدث في العراق من موت المئات من إخواننا الشيعة على جسر الأئمة[١] ، ونحن نعزي إخوتنا في العراق ، ونبلغهم خالص عزائنا ومواساتنا في هذه المصيبة ، فالمسلم ينبغي أن يعزي أخاه المسلم فيما يصيبه من بلاء ، كما ينبغي أن يهنئه بما ينزل عليه من نعمة ، هذا شأن الإنسان المؤمن .

ولقد حييت إخواننا في الفلوجة وغيرها من المناطق السنية ؛ الذين تواصوا بالتبرع بالدم لإخوانهم الشيعة ، نحن حريصون أيها الإخوة على وحدة الشعب

---

(١) حادثة جسر الأئمة وقعت في يوم : ٣١/ ٨/ ٢٠٠٥م ، ووصل عدد القتلى نحو ٧٠٠ قتيل وأكثر من ٣٠٠ جريح. راجع موقع : (www.aljazeera.net).

OBEIKAN.COM

العراقي ، ونحذر من الفتنة التي تريد أن تثير الطائفية ؛ سنة وشيعة عرب وأكراد ، مسلمون ومسيحيون ، هذه الفتن ليس وراءها إلا تمزيق الصف ، ولا يستفيد من وراء ذلك إلا أعداء الأمة ، وأعداء الإسلام ؛ من الصهاينة ، وأنصار الصهاينة ، فنحن نبلغ عزاءنا لإخوتنا ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحم الشهداء ، وأن يُلهم الأحياء الصبر والسلوان.

٢- تعزية ضحايا إعصار كاترينا :

وبهذه المناسبة أيضا أيها الإخوة أقدم عزائي إلى المصابين في أمريكا في إعصار كاترينا[1] إلى ضحايا هذا الإعصار إلى أهل هؤلاء الضحايا ، وإلى الشعب الأمريكي ، وربما يستغرب بعض الناس هذا ؛ كيف نعزي في مصيبة تنزل بأمريكا؟! وأمريكا تعادي الإسلام والمسلمين ، وتحاربهم في كل مكان؟

وأقول : أيها الإخوة إننا لا نعادي الشعب الأمريكي ، نحن لا نعادي الشعب الأمريكي في حد ذاته . الشعب الأمريكي في عمومه وفي جملته شعب طيب ، نحن نعادي سياسة الإدارة الأمريكية . ونحن لا نشمت في مصيبة أحد . لا يمكن المسلم أن يشمت في مصائب الناس مهما كان هؤلاء الناس ، لأنه يحب الخير للجميع ، ويحب الهداية للجميع . ويحب النعمة للجميع . هذا هو شأن الإنسان المسلم ، ولذلك أنا أعزي الشعب الأمريكي ، وأعزي أهالي هؤلاء الضحايا ، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يعقبهم خيرا .

٣- الانسحاب من غزة :

هناك أمر أيضا أحب أن أتحدث فيه وهو : الانسحاب من غزة ؛ فتنة الانسحاب من غزة ، وما أعقب هذه الفتنة ، التي أرادها شارون على انفراد منه ، أراد أن يخرج من غزة لأن غزة تكلفه الكثير ، هي عبء عليه ، هم من قديم

---

(١) وقع إعصار كاترينا ٢٨/٨/ ٢٠٠٥م .

OBEIKAN.COM

أرادوا يتخلصوا من غزة . ولهذا لا نقول : إنه انسحب تماما من غزة ، وهي مسألة إعادة انتشار كما يقولون . لا زال متمكنا من العودة إلى غزة ، كل ما كسبناه تفكيك المستوطنات ، ولكنها فككت في غزة لتذهب إلى الضفة الغربية أيضا ، وهو قادر على أن يعود ولازال متمكنا من المطار متمكنا من المياه ومتمكنا من المعابر فلا ينبغى أن نفرح كل الفرح بهذا ، نفرح بتفكيك المستوطنات ؛ ولكن ينبغي على إخوتنا الفلسطينيين أن يقفوا بالمرصاد ، وأن يفتحوا أعينهم ، وأن يكونوا يدا واحدة على الأعداء ، لا يكونوا بعضهم على بعض أبدا .

٤- لقاء وزير خارجية باكستان بوزير خارجية إسرائيل :

أحب أن أذكر هنا شيئا آلمني أشد الألم ؛ وهو لقاء وزير خارجية باكستان بوزير خارجية إسرائيل! باكستان ظلّت طول عمرها تتبنى قضية فلسطين ، وترفض أن يكون لإسرائيل مكان عندها ، ونحن نحذر المسئولين في باكستان من هذا الأمر . لا يصح أن يكافئ الإسرائيليون بأن تُقبل عليهم باكستان ، وهم لا زالوا يقومون على تهويد القدس ، وتهويد المسجد الأقصى ، والعمل على هدم المسجد الأقصى ، ولا يزالون يحاصرون هذا المسجد ، ويمنعون الناس من الصلاة فيه ، ولا يزالون يريدون أن يحاصروا القدس بمستوطناتهم ، ولا يزالون ولا يزالون . . .علام تقوم معهم هذه العلاقة الجديدة؟

نحن نسأل الله أن يهدي إخوتنا في باكستان إلى التي هي أقوم ، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشدا .

* * *